

وكان تأكيد الإمام الشافعي هنا على مفهوم الشفاعة الذي أصْلته نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، وفي مقام آخر يقول:

إذا في مجلس ذكرُوا علياً  
برئت إلى المهيم من أناس  
على آل الرسول صلاةُ ربي  
وهو القائل:

إذا نحن فضلنا علياً فإننا  
وله أيضاً:

يا راكباً قف بالمحصب من منى  
سَحرا إذا فاض الحجيج إلى منى  
إن كان رفض حب آل محمد  
فليس شهد الثقلان أني رافضي

هذا هو العراق ويجب أن يبقى على هذه المبادئ والتمسك بها.. فلا فرق بين سني وشيعي وبين مسلم ومسيحي وصابئي وبين عربي وكرد و تركماني، فالكل يجتمعوا تحت راية الحق راية الله أكبر التي خطتها رسالة السماء وبشر بها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ورفعها خفاقة أهل بيته الأطهار ﷺ الذين تركوا الأمصار كلها، وجعلوا العراق عاصمة لدولتهم السياسية وخلافتهم الراشدية ومنطلقاً لنهضتهم الإصلاحية التي جاءت من أجل إنقاذ الناس من حالة الفقر والعوز والحرمان والانحراف والفساد وتزوير الحقائق التي تفتشت في المجتمع نتيجة الإرهاب الاقتصادي الذي فُرض على الناس وإذلالهم وإتباعهم إلى السلطة والقبول بأرائها عنوة من خلال ترهيبهم وترغيبهم وجعل المجتمع مجتمعاً أعمى لا يميز بين الناقة والجمال.

والإرهاب السياسي وإتباع الناس لسياسة السلطة والقبول بها، وبالتالي كمّ الأفواه وانشغال الناس في البحث عن الرزق وسبل العيش الصعبة.. والإرهاب الثقافي بإرغام الكتاب والباحثين والعلماء والأدباء بعدم البحث والكتابة إلا من خلال سياسة السلطة ومديحها والثناء عليها وتزوير الحقائق وتحريف التاريخ وتشويه صورة أهل البيت ﷺ..

والإرهاب الاجتماعي والديني وبالتالي تغيير مفاهيم العبادات لأنّ النظام الأموي لا يهتم أمر الدين والعبادات فقد كان همه واهتمامه هو الحفاظ على السلطة والهيمنة وجعل خلافة الدولة الإسلامية مملكة يتوارثها الأمويون حصراً، ونشر حالة المجون وشرب الخمر والجواري ومجالس الطرب، وإحداث سنة سب الإمام علي ﷺ وأهل البيت ﷺ على المنابر وفي خطب الجمعة، فسياستهم هذه اضطرت الإمام الحسين ﷺ إلى التحضير والإعداد لهذه النهضة منذ بداية الانحراف خلال أيام حكم معاوية لأنّ الإمام الحسين ﷺ إمام الأمة وخليفة رسول الله ﷺ وسبطه ووريثه حقاً.

وإرهابهم موقفاً تربوياً ومسلِكياً للمجتمعات والأجيال والحكومات والقيادات والمرجعيات على مر العصور.

أيها السادة: الإمام الحسين ﷺ لم يخرج باسم حزب أو طائفة أو فئة من الناس، وإنما خرج مع كل الشرائع الاجتماعية والديانات السماوية وكانت حركته الإصلاحية تتحى بدورها الرسالي لتغيير كل ما فرض من ظلم وجور وضيم على الناس كل الناس، وليس على فئة من المجتمع أو دين من الأديان من قبل الطغاة والظلمة فكان حرباً على الاعتداء والانحراف، وكانت مسيرته مسيرة رسالية لطلب الحق واجتثاث الظلم مصطلحاً وفعلاً إلى غير رجعة ونصرة المظلومين والمستضعفين حقاً لا شعاراً وهتافاً، فكانت التضحية سامية وكانت الإرادة قوية لا تقهرها العواصف ولا توهنها الجيوش، وبقي الحسين ﷺ رمز انتصار المناضلين من أجل بناء أممهم وإعمار مجتمعاتهم ولم يكن حكراً لفئة أو دين بل كان رمزاً لكل الناس مسلمين وغير مسلمين تتبناه كل الحركات والقيادات والمرجعيات المناضلة من أجل تحرير شعوبها من القهر والظلم والحيث.

وبقي هكذا درساً تتناقل نهضته الشريفة الأجيال جيلاً بعد جيل، وتستلهم أفكاره كل الناس بغض النظر عن انتماءاتها الدينية والمذهبية والفكرية والعرقية والقومية.

وهنا ما يجب علينا اليوم إرسائه في بناء عراقنا الجديد عراق آل محمد ﷺ فلا فرق بين عراقي وآخر هكذا هم آل البيت ﷺ وأتباعهم.

وهنا أتوقف مع أئمة المسلمين الذين ما انفكوا يوماً عن السير بمسيرة أهل البيت ﷺ والالتزام بمنهجيتهم والتمسك بمدرستهم حيث يذكر الإمام النعمان «أبو حنيفة» بقوله الشهير: «لولا السنتان لهلك النعمان»، والمراد هنا ليس الهلاك الجسدي بل هلاك الفكر وهلاك العقيدة لذلك رفضته الأنظمة السياسية وقتها، وشوهت صورته، وبقي على التزامه وتحمل عذاب السجن إلى أن قتل مسموماً في سجنه، وهو يردد:

ها أنا مولى للفتى أنزل فيه هل أتى  
إلى متى أكتمه إلى متى أكتمه إلى متى

وذاك الإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي يؤكد الالتزام بمنهجية أهل البيت ﷺ والتمسك بمدرستهم وهو يقارع سلاطين القهر والجور من حكام بني أمية وبني العباس وقتها برثائه الشهير للإمام الحسين ﷺ والتعبير عن ولائه لأهل البيت ﷺ:

تأوه قلبي والفؤاد كئيب وأرق عيني فالرقاد عجيب  
فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفوس وقلوب  
ذبيح بلا جرم كأن قميصه صبيغ بماء الأرجوان خضيب  
يصلى على المبعوث من آل هاشم ويفزى بنوّه إن ذا لعجيب  
لئن كان ذنبي حب آل محمد فذلك ذنب لست عنه أتوب  
هم شفعاي يوم حشري وموقفي إذا ما بدت للناظرين خطوب